

## ثم دخلت سنة سبع وتسعين وخمسة مئة

ففيها توفي بهاء الدين قراقوش الأَسدي<sup>(١)</sup>، وقيل: إنَّه لم يكن مملوكاً لأسد الدين، وإنما كان لابن الطقطقي، فَصَحِبَ أَسَدَ الدِّينِ، وتقدَّم عنده بعد وفاة سيده.

وفيها كانت حوادثٌ [كثيرة]<sup>(٢)</sup> عظيمة، منها هبوطُ نيلٍ مِضْرَ إلى أن بقي منه شيء يسير، واشتدَّ الغلاء والوباء بمصر، فهرب النَّاسُ إلى المغرب والحجاز واليمن والشَّام تفرُّقاً أيدي سبأ، ومزَّقوا كل ممزَّق أعظم من سنة اثنتين وستين وأربع مئة في أيام الملقب بالمستنصر بن الظاهر بن الحاكم أحد الخلفاء المِصْرِيِّين، فإنَّ النَّاسَ في هذه السنة كان الرَّجُلُ يذبح ولده الصَّغِيرَ، وتساعده أمه على طبخه وشيِّه، وأحرق السلطانُ جماعةً فعلوا ذلك ولم ينتهوا. وكان الرجل يدعو صديقه وأحبَّ النَّاسِ إليه إلى منزله ليضيفه فيذبحه ويأكله، وفعلوا كذلك بالأطباء، كانوا يدعونهم ليصروا المرضى فيقتلونهم ويأكلونهم، وفقدت الميتات والجيف من كثرة ما أكلوها. وكانوا يَحْطَفُونَ الصَّبِيَّانِ مِنَ الشُّوَارِعِ فَيَأْكُلُونَهُمْ، وكَفَّنَ السُّلْطَانُ فِي مُدَّةِ يَسِيرَةٍ مِثْلِي أَلْفٍ وَعِشْرِينَ أَلْفًا، وامتلات طُرُقَاتُ المِغْرِبِ والحِجَازِ والشَّامِ بِرَمَمِ النَّاسِ، وصَلَّى إِمَامُ جَامِعِ الإسْكَندَرِيَّةِ فِي يَوْمٍ عَلَى سَبْعِ مِئَةِ جِنَازَةٍ.

٢٠ قال العز بن تاج الأمانة<sup>(٣)</sup>: كان اشتداد الغلاء والوباء بالديار المصرية من

(١) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٦ هـ)، التكملة للمنذري: ٣٨٩/١، كتاب الروضتين: ٤٨٤/٤ - ٤٨٥، وفيات الأعيان: ٩١/٤ - ٩٢، العبر للذهبي: ٢٩٨/٤، السلوك للمقريزي: ج١/ق١/١٥٨، النجوم الزاهرة: ١٧٦/٦ - ١٧٨، شذرات الذهب: ٣٣١/٤ - ٣٣٢، وقد سلفت أخباره في «كتاب الروضتين».

(٢) ما بين حاصرتين من (ع) و(ك) و(س).

(٣) في (ع) و(ك) و(س): تداخل قول العز بن تاج الأمانة مع قول سبط ابن الجوزي.

شهر رمضان بحيث بلغ ثمن الإزْدَب<sup>(١)</sup> ستة دنانير مصرية، وجلا أهل الأعمال، وصار إلى بلاد الفرنج منهم جمع حُمِلوا إلى الجزائر البحرية، وأقرَّ كثير ممن تفرَّق في البلاد الإسلامية بالعبودية لمن يؤويه ويطعمه، وأشرفت الأعمال المصرية على الخراب الكلي لولا تدارك لطف الله تعالى بإجراء نيلها والإسعاد بما كان للملك العادل فيها من الغلال التي صرفها في تقاوي البلاد ومؤن أهلها إعانةً وصدقةً، فتماسك من كان مقيماً بها، وتراجع إليها من قدر على الرجوع من أهلها.

قال أبو المظفر: وجاءت في شعبان زلزلة<sup>(٢)</sup> هائلة من الصَّعيد، فعَمَّت الدنيا في ساعةٍ واحدة هدمت بنيان مِصر، فمات تحت الهدم خُلُق كثير، ثم امتدَّت إلى الشَّام والسَّاحل، فهدمت مدينة نابلس فلم يبق فيها جداراً قائم إلا حارة السمرة، ومات تحت الهدْم ثلاثون ألفاً، وهدمت عكَّا، وصور وجميع قلاع السَّاحل<sup>(٣)</sup>، وامتدَّت إلى دمشق، فَرَمَتْ بعض المنارة الشَّرْقِيَّة بجامع دمشق، وأكثر الكلاسة، والبيمارستان الثوري، وعمامة دور دمشق إلا القليل،

(١) مكيال لأهل مصر، قيل: يضم أربعة وعشرين صاعاً. «اللسان» (ردب).

(٢) خبر الزلزلة هذه أوردها سبط ابن الجوزي في «المرآة» في حوادث سنة (٥٩٧ هـ) - وعنه نقل أبو شامة - وابن الأثير في «الكامل»: ١٢/١٧٠ - ١٧١، والذهبي في «العبر»: ٢٩٦/٤، وفي «السير»: ٢٢٠/٢٢ - ٢٢١.

وقد أعاد أبو شامة ذكرها في حوادث سنة (٥٩٨ هـ) نقلاً عن العز بن تاج الأمان، وكذلك ذكرها في هذه السنة عبد اللطيف البغدادي في كتابه «الإفادة والاعتبار»: ٥٩ - ٦٠. وقد خَطَأَ الذهبيُّ الجزَّ في ذكر الزلزلة في هذه السنة، فقال في «السير»: ٢٢٢/٢٢: وأرخ العز النسابة خبر الزلزلة فيها (يعني سنة ٥٩٨ هـ) فوهم.

وذكرُ أبي شامة خبرها في الستين دليل على أنه لم يرجح أيّاً منهما.

(٣) نسب الذهبي في «السير»: ٢٢٠/٢٢ هذا الخبر خطأً لأبي شامة، وقال: وهذه مجازفة ظاهرة. قلت: وليست هذه هي المرة الوحيدة التي ينسب الذهبي فيها أخباراً لأبي شامة، وهي لسبط ابن الجوزي، انظر حاشيتنا رقم ٣ ص ٨٣ من الجزء الثاني.

وَهَرَبَ النَّاسُ إِلَى الْمِيَادِينِ، وَسَقَطَ مِنَ الْجَامِعِ سِتُّ عَشْرَةَ شَرْفَةً، وَتَشَقَّقَتْ قُبَّةُ النَّسْرِ، وَتَهَدَّمَتْ بَانِيَّاسَ وَهُونِينَ وَتَبْنِينَ، وَخَرَجَ قَوْمٌ مِنْ بَغْلَبَكَّ يَجْنُونَ الرُّيَّاسَ<sup>(١)</sup> مِنْ جَبَلِ لُبْنَانَ، فَالْتَقَى عَلَيْهِمُ الْجِبْلَانُ، فَمَاتُوا بِأَسْرِهِمْ، وَتَهَدَّمَتْ قَلْعَةٌ بِعَلْبَكٍ مَعَ عِظَمِ حِجَارَتِهَا وَوُثِيقِ عِمَارَتِهَا، وَامْتَدَّتْ إِلَى حَمَصِ، وَحِمَاةَ، وَحَلْبِ، وَالْعَوَاصِمِ، وَقَطَعَتِ الْبَحْرَ إِلَى قُبْرَصَ، وَانْفَرَقَ الْبَحْرُ فَصَارَ أُطْوَادًا، وَقَذَفَ بِالْمَرَكَبِ إِلَى السَّاحِلِ فَتَكَسَّرَتْ، ثُمَّ امْتَدَّتْ إِلَى خِلَاطِ، وَأَرْمِينِيَّةَ، وَأَذْرَبِيجَانَ، وَالْجَزِيرَةَ، وَأَحْصَى مَنْ هَلَكَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيْبِ فَكَانَ أَلْفَ أَلْفِ إِنْسَانٍ وَمِئَةَ أَلْفِ إِنْسَانٍ، وَكَانَ قُوَّةُ الزَّلْزَلَةِ فِي مَبْدَأِ الْأَمْرِ بِمَقْدَارِ مَا يَقْرَأُ الْإِنْسَانُ سُورَةَ الْكَهْفِ، ثُمَّ دَامَتْ بَعْدَ ذَلِكَ أَيَّامًا. نَقَلْتُ جَمِيعَ ذَلِكَ مِنْ تَارِيخِ أَبِي الْمُظَفَّرِ سِبْطِ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ<sup>(٢)</sup>.

قال: وفي مستهل ذي القعدة حُوصِرَتْ دِمَشْقُ؛ جَاءَ الْأَفْضَلُ، وَالظَّاهِرُ وَكَانَ<sup>(٣)</sup> الْعَادِلُ بِمِضْرَ، وَجَاءَ حُسَامُ الدِّينِ بِبَشَارَةَ مِنْ بَانِيَّاسَ نَجْدَةً لِهَمَّا، فَقَاتَلُوا دِمَشْقَ أَيَّامًا، وَكَانَ بِهَا الْمُعَظَّمُ عَيْسَى بْنُ الْعَادِلِ، وَبَلَغَ الْعَادِلُ، فَجَاءَهُ فَنَزَلَ نَابِلِسَ، وَبَعَثَ فَاصْلِحَ الْأَمْرَاءِ، وَزَحَفَ الْأَفْضَلُ وَالظَّاهِرُ، فَوَصَلُوا إِلَى بَابِ الْفَرَادَيْسِ، وَأَحْرَقُوا فَنَدَقَ تَقِي الدِّينِ، وَقَاتَلَهُمُ الْمُعَظَّمُ، وَحَفِظَ الْبَلَدَ، فَأَقَامُوا نَحْوَ شَهْرَيْنِ. وَبَعَثَ الْعَادِلُ فَأَوْقَعَ الْخُلْفَ بَيْنَ الْأَخْوِيْنَ، فَرَحَلُوا سَلَخَ ذِي الْحِجَّةِ، وَجَاءَ الْعَادِلُ فَدَخَلَ دِمَشْقَ، وَمَضَى الْمُعَظَّمُ وَشَرَكْسَ وَقَرَاجَا، فَحَاصَرُوا بَانِيَّاسَ وَبِهَا حُسَامُ الدِّينِ بِبَشَارَةَ، فَقَاتَلَهُمْ فَقُتِلَ وَلَدُهُ، وَأَخْرَجُوهُ مِنَ الْبِلَادِ وَتَسَلَّمَهَا شَرَكْسَ، وَتَسَلَّمَ قَرَاجَا صَرْخُدَ.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ طَاشِيكِيْنَ، وَكَانَ الْخَلِيفَةُ قَدْ أَفْرَجَ عَنْهُ، وَرَدَّ إِلَيْهِ إِقْطَاعَهُ وَمَالَهُ<sup>(٤)</sup>.

(١) الرِّيَّاسُ: نَبْتٌ كَانُوا يَتَدَاوَنُ بِهِ مِنَ الْحَصْبَةِ. انظر «القاموس المحيط»: (ربس).

(٢) «مرآة الزمان» (حوادث سنة ٥٩٧ هـ).

(٣) من هنا اضطربت أوراق الأصل، وقد أعدناها إلى حاق موضعها.

(٤) «مرآة الزمان» (حوادث سنة ٥٩٧ هـ).

وفيها توفي عز الدين إبراهيم ابن المَقْدَم<sup>(١)</sup>، وكان شجاعاً عاقلاً، وله قلعة بارين، وفامية، ومَنج، والراوندان، ودُفِنَ بدمشق بمقبرته خارج العُقبية، بمقبرة باب الفرديس. وكان له بنات، وأبوه هو المقتول بعرفات<sup>(٢)</sup>.

وفيها توفي ناظر نهر الملك ببغداد، واسمه إبراهيم بن محمد بن إبراهيم<sup>(٣)</sup> - وكان متزهداً يلبس القطن الفوط، ويعدل في الرعية، ويحسن إليهم - أمر الخليفة التَّاصر بصلبه، فَضَلِبَ على كرسي جسر بغداد، وعليه القميص الفوط على جانب نهر عيسى، فمرَّ به الخليفة وهو مصلوبٌ في وسط الجذع. فقال: تَنَمَّسُ علينا، ارفعوه إلى رأس الجذع. وكان شيخاً مهيباً، وحزَنَ النَّاسُ عليه.

وقبل ذلك في سنة ست وثمانين [جرت]<sup>(٤)</sup> واقعة أشع من هذه، كان ببغداد عبد الرشيد بن عبد الرزاق الكُرْجِي<sup>(٥)</sup> - بالجيم - الصُّوفي يتفقه بدار الذهب. وكان ورعاً عاملاً عابداً، وكان ببغداد صوفي يقال له النَّفيس، يضحك منه ويسخر به، وكان يدخل على الخليفة، فدخل يوماً مدرسة دار الذهب، فجعل يتمسخر، فقال له الكرجي: اتق الله، نحن نبحث في العلم، وأنت تهزل؟ ما هذا موضعه. فدخل على الخليفة، وبكى بين يديه، وقال: ضربني الكُرْجِي وعَيَّرني. فغضب الخليفة وأمر بصلبه، فأخرج وعليه ثوب أزرق من ثياب الصُّوفية إلى الرَّحبة، ونصبوا له خشبة ليصلبوه. فقال: دعوني أصلي ركعتين. فصلى وصلبوه، فجاء خادمٌ من عند الخليفة فقال: لا تصلبوه. وقد فات، فلعن النَّاسُ النَّفيسَ الصُّوفي، وبقي أياماً لا يتجاسر يظهر ببغداد، ورأى

(١) له ترجمة في مرآة الزمان: (وفيات سنة ٥٩٧ هـ)، وكتاب الروضتين: ٤/٤٨٣ - ٤٨٤،

والوفاي بالوفيات: ١٣٧/٦.

(٢) انظر كتاب الروضتين: ٣/٤٢٣ - ٤٢٦.

(٣) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٧ هـ).

(٤) ما بين حاصرتين من (ب).

(٥) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٨٦ هـ).

الكرجِيَّ بعضُ الصَّالِحِينَ فِي الْمَنَامِ، فَقَالَ: مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ؟ فَقَالَ: وَقَفَنِي الْحَقُّ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا إِلَهِي، رَضِيَتْ مَا جَرَى عَلَيَّ؟ فَقَالَ: أَوْ مَا سَمِعْتَ مَا قُلْتُ فِي كِتَابِي ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ الْآيَةَ<sup>(١)</sup>. أَيِ إِنِّي أَرَدْتُ أَنْ تَصِلَ إِلَى مَرْتَبَةِ الشُّهَدَاءِ.

وَفِيهَا تَوَفَى الشَّيْخُ أَبُو الْفَرَجِ ابْنُ الْجَوْزِيِّ الْوَاعِظُ، وَاسْمُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُمَادِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ جَعْفَرِ الْجَوْزِيِّ<sup>(٢)</sup> بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصُّدَيْقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَبُو الْفَرَجِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ الْقُرَشِيِّ التَّمِيمِيِّ. وَجَعْفَرُ الْجَوْزِيُّ مَنْسُوبٌ إِلَى فُرْضَةَ مِنْ فُرْضِ الْبَصْرَةِ يُقَالُ لَهَا جَوْزَةٌ. وَفُرْضَةُ النَّهْرُ ثَلَمَتُهُ الَّتِي يُسْتَقَى مِنْهَا.

قَالَ سَيْطُهُ أَبُو الْمَظْفَرِ: وَلَدَ جَدِّي بَغْدَادَ بَدْرَبِ حَبِيبٍ فِي سَنَةِ عَشْرٍ وَخَمْسٍ مِئَةَ تَقْرِيبًا، وَتَوَفَى أَبُوهُ وَلَهُ ثَلَاثُ سَنِينَ. وَكَانَتْ لَهُ عَمَةٌ صَالِحَةٌ، وَكَانَ أَهْلُهُ تِجَارًا فِي النُّحَاسِ - وَلِهَذَا رَأَيْتُ فِي بَعْضِ سَمَاعَاتِهِ: وَكَتَبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ

(١) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ، الْآيَةُ: ١٦٩.

(٢) لَهُ تَرْجُمَةٌ فِي خَرِيدَةِ الْقَصْرِ، قَسَمَ شِعْرَاءُ الْعِرَاقِ: مَج/١ ج/٣ - ٢٦٠ - ٢٦٥، رِحْلَةُ ابْنِ جَبْرِ: ٢٧١ - ٢٧٧، الْكَامِلُ: ١٧١/١٢، مِرَاةُ الزَّمَانِ (وَفَيَاتُ سَنَةِ ٥٩٧ هـ)، التَّكْمِلَةُ لِلْمَنْذَرِيِّ: ٣٩٤/١ - ٣٩٥، مَشِيخَةُ النُّعْمَالِ: ١٤٠ - ١٤٢، وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ: ١٤٠/٣ - ١٤٢، الْمُخْتَصَرُ فِي أَخْبَارِ الْبَشَرِ: ١٠١/٣، طَبَقَاتُ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ: ١١٩/٤ - ١٢٢، سِيرُ أَعْلَامِ النَّبِيَاءِ: ٣٦٥/٢١ - ٣٨٤، الْعَبْرُ لِلذَّهَبِيِّ: ٢٩٧/٤ - ٢٩٨، تَذَكُّرَةُ الْحِفَافِ: ١٣٤٢/٤، الْمُخْتَصَرُ الْمَحْتَجُّ إِلَيْهِ: ٢٠٥/٢ - ٢٠٨، الْمُسْتَفَادُ مِنْ ذَيْلِ تَارِيخِ بَغْدَادِ: ٢٨٤، الْوَافِي بِالْوَفَيَاتِ: ١٨٦/١٨ - ١٩٤، الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ (وَفَيَاتُ سَنَةِ ٥٩٧ هـ)، ذَيْلُ طَبَقَاتِ الْحَنَابِلَةِ: ٣٩٩/١ - ٤٢٣، غَايَةُ النِّهَايَةِ: ٣٧٥/١، النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ: ١٧٤/٦ - ١٧٦، الْمَقْصَدُ الْأَرْشَدُ: ٩٣/٢، الْمَنْهَجُ الْأَحْمَدُ: ١١/٤ - ٤٢، طَبَقَاتُ الْمَفْسَّرِينَ لِلدَّوَادِيِّ: ٢٧٠/١ - ٢٧٤، شَذَرَاتُ الذَّهَبِ: ٣٢٩/٤ - ٣٣١.

الصَّفَّار<sup>(١)</sup> - فلَمَّا ترعرع حَمَلَتْهُ عَمَّتُهُ إِلَى مَسْجِدِ أَبِي الْفَضْلِ بْنِ نَاصِرٍ، فَاعْتَنَى بِهِ، وَأَسْمَعَهُ الْحَدِيثَ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، وَتَفَقَّهَ. وَقَدْ ذَكَرَ مِنْ مَشَايخِهِ فِي «الْمَشِيخَةِ»<sup>(٢)</sup> نَيْفًا وَثَمَانِينَ شَيْخًا. وَعَنِي بِأَمْرِهِ شَيْخُهُ ابْنُ الرَّأغُونِيِّ، وَعَلَّمَهُ الْوَعْظَ، وَاشْتَغَلَ بِفَنُونِ الْعِلْمِ، وَأَخَذَ اللَّغَةَ عَنِ أَبِي مَنْصُورِ الْجَوَالِقِيِّ، وَصَنَّفَ الْكُتُبَ فِي فَنُونِ، قِيلَ: بَلَغَتْ مَصْنَفَاتُهُ نَحْرَ ثَلَاثِ مِئَةِ مَصْنُوفٍ، وَحَضَرَ مَجَالِسَهُ الْخُلَفَاءُ، وَالْوُزَرَاءُ وَالْأَمْرَاءُ، وَالْعُلَمَاءُ، وَالْأَعْيَانُ، وَأَقَلَّ مَا كَانَ يَحْضُرُ مَجْلِسَهُ عَشْرَةُ آلَافٍ، وَرَبِمَا حَضَرَ عِنْدَهُ مِئَةُ أَلْفٍ. وَأَوْقَعَ اللَّهُ لَهُ فِي الْقُلُوبِ الْقَبُولَ وَالْهَيْبَةَ. وَكَانَ زَاهِدًا فِي الدُّنْيَا، مُتَقَلِّدًا مِنْهَا. وَسَمِعْتَهُ يَقُولُ عَلَى الْمَنْبَرِ فِي آخِرِ عَمْرِهِ: كَتَبْتُ بِأَصْبَعِي هَاتَيْنِ أَلْفِي مَجْلُدَةً، وَتَابَ عَلَيَّ يَدِي مِئَةَ أَلْفٍ، وَأَسْلَمَ عَلَيَّ يَدِي عَشْرَةَ آلَافٍ<sup>(٣)</sup> يَهُودِيٌّ وَنَضْرَانِيٌّ، وَكَانَ يَجْلِسُ بِجَامِعِ الْقَصْرِ وَالرُّصَافَةِ، وَجَامِعِ الْمَنْصُورِ وَبَابِ بَدْرٍ، وَتُرْبَةِ أُمِّ الْخَلِيفَةِ وَغَيْرِهَا، وَكَانَ يَخْتَمُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، وَلَا يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ إِلَّا إِلَى الْجَامِعِ لِلْجُمُعَةِ وَلِلْمَجْلِسِ، وَمَا مَازَحَ أَحَدًا قَطُّ، وَلَا لَعَبَ مَعَ صَبِيٍّ، وَلَا أَكَلَ مِنْ جِهَةٍ لَا يَتَيَقَّنُ حِلَّهَا، وَمَا زَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ الْأَسْلُوبُ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى<sup>(٤)</sup>.

وقد ذكرنا محنته<sup>(٥)</sup> التي شارك<sup>(٦)</sup> بها الأنبياء، والعلماء، والفضلاء، والأولياء، وتلقى ذلك بالصَّبْرِ وَالْحَمْدِ وَالشُّكْرِ.

(١) قوله: ولهذا رأيت في بعض سماعاته: وكتب عبد الرحمن الصفار، هو من كلام أبي شامة.  
(٢) طبعت المشيخة بتحقيق الشيخ محمد محفوظ، ونشرته الشركة التونسية للتوزيع سنة ١٩٧٧.  
وكان السبط قد أسمعها بروايته عن جده في جبل قاسيون بدمشق سنة (٦٤٩ هـ). انظر ثبت السماع للمشيخة ص ٤٤ - ٤٥.

(٣) في نسخ «مرآة الزمان» التي عندي: وأسلم على يدي عشرون ألفاً.

(٤) «مرآة الزمان» (وفيات سنة ٥٩٧ هـ).

(٥) سلفت ص ٥٧ من هذا الجزء.

(٦) في النسخ ما عدا الأصل: زاحم.

وقد أثنى عليه العلماء، فذكره أبو عبد الله محمد بنُ الدَّبَّيْثِي في الذَّيْل الذي دَوَّلَهُ على تاريخ ابن السَّمْعَانِي، فقال:

شَيْخَنَا الإِمَامَ، جَمَالَ الدِّينِ ابْنَ الجَوْزِي، صَاحِبَ التَّصَانِيفِ فِي فَنُونِ العِلْمِ  
 مِنَ التَّفَاسِيرِ، وَالفِئَةِ، وَالحَدِيثِ، وَالتَّوَارِيخِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَإِلَيْهِ انْتَهَتْ مَعْرِفَةُ  
 الحَدِيثِ وَعِلْمُوهُ، وَالوُقُوفِ عَلَى صَحِيحِهِ مِنْ سَقِيمِهِ، وَلَهُ فِيهِ المَصْنُفَاتُ مِنْ  
 ٢٢ المَسَانِيدِ وَالأَبْوَابِ وَالرُّجَالِ وَمَعْرِفَةِ الأَحَادِيثِ الوَاهِيَةِ المَوْضُوعَةِ، وَالانْقِطَاعِ  
 وَالاتِّصَالِ. وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ كَلَامًا، وَأَتَمَّهُمْ نِظَامًا، وَأَعَدَّبَهُمْ لِسَانًا،  
 وَأَجُودَهُمْ بَيَانًا. تَفَقَّهُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ الدِّينُورِي، وَقَرَأَ الوَعِظَ عَلَى الشَّرِيفِ  
 أَبِي القَاسِمِ العَلَوِيِّ، وَأَبِي الحَسَنِ ابْنِ الرِّزَّاعُونِي. وَبُورِكَ لَهُ فِي عَمْرِهِ وَعَمَلِهِ،  
 فَرَوَى الكَثِيرَ، وَسَمِعَ النَّاسَ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ سَنَةً. وَحَدَّثَ بِمَصْنُفَاتِهِ مَرَارًا.  
 قال: وَأَنْشَدَنِي بِوَأَسْطَ لِنَفْسِهِ:

يَا سَاكِنَ الدُّنْيَا تَأَهَّ بْ وَأَنْتَظِرُ يَوْمَ الفِرَاقِ  
 وَأَعِدَّ زَادًا لِلرَّحِيْبِ لِي فَسَوْفَ يُحَدِّدِي بِالرِّفَاقِ  
 وَابِكِ الذَّنُوبِ بِأَذْمُجِ تَنْهَلُ مِنْ سُحْبِ المَاقِي  
 يَا مَنْ أَضَاعَ زَمَانَهُ أَرْضِيئَتْ مَا يَفْنَى بِبَاقِ

### فصل

#### فِي نَتْفِ مِنْ كَلَامِهِ

قال له قائل: ما نمتُ البارحة من شوقي إلى المجلس. فقال: نَعَمْ، لأنَّكَ  
 تريد أن تتفرَّجَ، وإنما ينبغي أن لا تنام الليلة لأجل ما سَمِعْتَ.  
 وقيل له: إن فلاناً أوصى عند الموت. فقال: طَيَّنَ سطوحه في كانون.  
 وقال له قائل: أيُّما أفضل، أسبَح أم أستغفر؟ فقال: الثَّيَابُ الوَسِيخَةُ أَحْوَجُ  
 إلى الصَّابُونِ مِنَ البُخُورِ.

وقال في قوله عليه السلام. «أعمارُ أمتي ما بين الستين إلى السبعين»<sup>(١)</sup>:  
إنما طالت أعمارُ القدماء لطول البادية، فلما شارَفَ الركب بلدَ الإقامة قيل:  
حُتُّوا المَطِيَّ.

ووعظ الخليفة يوماً، فقال: يا أمير المؤمنين، إن تكلمتُ خِفْتُ منك، وإن  
سَكَتُ خِفْتُ عليك، فأنا أقدمُ خوفاً عليك على خوفاً منك لمحبتي لدوام  
أيامك، إنَّ قولَ القائل اتق الله خيراً من قول القائل إنكم أهلُ بيتٍ مغفورٍ لكم،  
وقد قال الحسن البَصْرِي: لئن تصحبَ أقواماً يخوفونك حتى تبلغ المأمن خيراً  
من أن تصحبَ أقواماً يؤمنونك حتى تبلغ المخاوف. وكان عمر بنُ الخطاب  
يقول: إذا بلغني عن عامل ظالم أنه قد ظلم الرعية ولم أعيِّره فأنا الظالم، يا أمير  
المؤمنين، كان يوسف عليه السَّلام لا يشبع في زمان القحط لثلاثين يوماً،  
وكان عمر يضرب بطنه عام الرَّمادة ويقول: قَرِّقْ إن شِئْتَ أولاً تقرر، فوالله لا  
شبعَت والمسلمون جِيعاء. فتصدَّق الخليفة - وكان المستضيء - بصداقات كثيرة،  
وأشبع الجِيعاء، وأطلق الجبوس.

وقال في قول فرعون ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ يَمْرُوكَ﴾<sup>(٢)</sup>: أيفتخر فرعونُ بنهرٍ ما  
أجراه، ما أجراه.

وقال في قصة الذين عبدوا العجل: لو أنَّ الله خار لهم ما خار لهم.  
وذكر قصة معاذ بن جبل في القراءة فقال: طاب له ارتضاع ثدي التلاوة،  
فمرَّ على وجهه، فقيل له: أفَتَأَنَّ أنت<sup>(٣)</sup>؟ ليس الكل على طريقتك، الولد لا تعدُّ  
عليه الرُّضعات إنما تعدُّ على الأجانِب لإثبات نسب الرُّضاع.

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٥٠)، وابن ماجه (٤٢٣٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال

الترمذي: حديث حسن غريب.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٥١.

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٥)، ومسلم (٤٦٥) (١٧٨) من حديث جابر رضي الله عنه، وهو في

مسند الإمام أحمد (١٤١٩٠).

وقال يوماً وقد ظرَبَ أهلُ المجلس: فَهَيْئُكُمْ، فَهَيْئُكُمْ.

وسئل عن قوله ﷺ: «لَأَعْطِيَنَّ الرَّأْيَةَ غَدًا رَجُلًا يَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيَحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»<sup>(١)</sup>. فأعطاها علياً، فأين كان أبو بكر؟ فقال: لما كان يوم بدر قام أبو بكر ليقاتل فقال له رسول الله ﷺ: «مَتَّعْنَا بِنَفْسِكَ»<sup>(٢)</sup> ولما كان يوم خيبر سَلَّمَ الرَّأْيَةَ إِلَى عَلِيٍّ وَقَالَ لَهُ: اُخْرَجْ. ففَعِدَ مَنْ قَعَدَ بِالْأَمْرِ كَخُرُوجِ مَنْ خَرَجَ بِالْأَمْرِ، وَلَكِنْ فِي قَوْلِهِ: مَتَّعْنَا بِنَفْسِكَ، فَضِيلَةٌ.

وسئل: لِمَ لَمْ يَنْصَرِ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى خِلاَفَةِ أَبِي بَكْرٍ؟ فَأَجَابَ: إِنَّهُ قَدْ جَرَتْ أَشْيَاءُ تَجْرِي مَجْرَى النَّصِّ، مِنْهَا قَوْلُهُ: «مَرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ»<sup>(٣)</sup> و«اقْتَدُوا بِاللَّذِينَ مِنْ بَعْدِي»<sup>(٤)</sup> و«هَلُمُّوا أَكْتُبْ لَأَبِي بَكْرٍ كِتَابًا لَثَلَا يَخْتَلِفُ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ»<sup>(٥)</sup> فهذه أحاديثٌ تجري مجرى النصِّ، فهمها الخصوص غير أن الرافضة في إخفائها كاللصوص.

قال السائل: لما قال أقيلوني ما سَمِعْنَا مِثْلَ جَوَابِ عَلِيٍّ: وَاللَّهِ لَا أَقْلَنَّاكَ. فقال: لما غاب عليٌّ عن البيعة في الأول أخلف ما فات بالمَدْحِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ لِيَعْلَمَ السَّامِعُ وَالرَّائِي أَنَّ بَيْعَةَ أَبِي بَكْرٍ وَإِنْ كَانَتْ مِنْ وِرَائِي فَهِيَ رَأْيِي، وَمِثْلُ

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٩) ومسلم (٢٤٠٦) من حديث سهل بن سعد، وكذلك البخاري (٣٧٠٢) ومسلم (٤٤٠٧) من حديث سلمة بن الأكوع. رضي الله عنهما.

(٢) هو عند الحاكم في «المستدرک»: ٤٧٤/٣، ومن طريقه البيهقي في «السنن»: ١٨٦/٨ من رواية الواقدي عن ابن أبي الزناد وعن أبيه، وإسناده تالف.

(٣) أخرجه البخاري (٦٧٨)، ومسلم (٤٢٠) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وهو في مسند الإمام أحمد (١٩٧٠٠).

(٤) هو في مسند الإمام أحمد (٢٣٢٤٥) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه مسلم (٢٣٨٧) (١١) من حديث عائشة قالت: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: «ادعي لي أباك وأحباك حتى أكتب كتاباً، فإني أخاف أن يتمنى متعمن ويقول قائل: أنا أولى، وبأبي الله والمؤمنون إلا أبا بكر».

ذلك الصَّدْر لا يُرَائِي، وما أحسنَ استدلاله حين قال: رضيك رسولُ الله ﷺ لديتنا، أفلا نرضاك لدينانا؟

وسأل سائلٌ: ما الذي وَقَرَ في صَدْر أبي بكر؟ فقال: قوله ليلة المِعْرَاج: إن كان قال فقد صدَّق، فله السَّبْق.

وسأل آخر: سيفُ عليٍّ نزل من السماء، فَسَعَفَةُ أبي بكر من أين؟ فقال: إنَّ سَعَفَةَ<sup>(١)</sup> هَزَّتْ يومَ الرِّدَّة، فأثمرت سَبِيًّا جاء منه مثلُ ابنِ الحنفية لأمضى من سيوف الهند.

ثم قال: يا عجبا، الرَّافِضَةُ إذا ماتَ لهم مَيِّتٌ تركوا معه سَعَفَةَ، من أين ذا الصُّلْحُ؟!

سأل سائلٌ: ما معنى قوله ﷺ: «من أراد أن ينظر إلى مَيِّتٍ يمشي على وجه الأرض فليُنظر إلى أبي بكر»<sup>(٢)</sup> فقال: الميت يَفْسِمُ ماله، وَيَلْبَسُ الكَفَنَ، وأبو بكر أخرجَ المالَ كُلَّهُ وتخلَّلَ بالعباء.

وقال في قوله تعالى: ﴿وَرَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ﴾<sup>(٣)</sup> قال عليٌّ: والله إنني لأرجو أن أكون أنا وعثمان، وطلحة، والزُّبير منهم.

ثم قال أبو الفرج: إذا اصطَلح الخصوم، فما بال النَّظارة. وقال: قال جبريل للرسول عليه السَّلام: سلِّم على عائشة<sup>(٤)</sup>. ولم يواجهها بالخطاب احتراماً لزوجها، وواجه مريم لأنه ما كان لها زوج، فمن يحترمها جبريل كيف يجوز في حَقِّها الأباطيل؟

(١) في (س) سعة أبي بكر، بزيادة أبي بكر، وهي زيادة مقحمة على النص من الناسخ.

(٢) لم أجده فيما بين يدي من المصادر.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٤٣، وسورة الحجر، الآية: ٤٧.

(٤) أخرجه البخاري (٣٢١٧) ومسلم (٢٤٤٧) (٩٠) من حديث عائشة أن النبي ﷺ قال لها: يا عائشة، هذا جبريل يقرأ عليك السلام، فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى. تريد النبي ﷺ. وهذا لفظ البخاري.

وسئل عن لعنة يزيد بن معاوية. فقال: قد أجاز أحمد ابن حنبل لعنته، ونحن نقول: ما نحبه لما فعل بابن بنت نبينا، وحمله آل رسول الله ﷺ سبايا إلى الشام على أقتاب الجمال، وتجبرته على الله ورسوله، فإن رضيتم بهذه المصالحة في قولنا: ما نحبه، وإلا رجعنا إلى أضل الدعوى، يعني جواز لعنته. ثم قال: أما أبوه ففي خِفارة الصُّحبة، فدعوه من أيديكم وأنتم في جِلٍّ من الابن. قال: وقال رسولُ الله ﷺ: «من دَخَلَ دار أبي سُفيان فهو آمن»<sup>(١)</sup> وما رآها يزيد قط، ودخلها معاوية.

ثم قال: لا تدنُّسوا وقتنا بذكر من ضَرَبَ بالقضيب ثانياً كان رسولُ الله ﷺ يُقْبَلُها، فجعلها يزيد غَرَضاً لبلوغ غَرَضِهِ.

قلت: كان أبو الفرج رحمه الله مُبْتَلَى بالكلام في مثل هذه الأشياء لكثرة الرأفة بيغداد، وتعنتهم له في السؤالات فيها، فكان بصيراً بالخروج منها بحسن إشاراته.

وذكر يوماً حديث داود وهبة آدم له من عمره ستين سنة، وأنَّ الله تعالى أتمَّ لداود مئة ولآدم ألفاً<sup>(٢)</sup>. ثم قال: المتوسط بين اثنين إذا كان كريماً غَرِمَ.

ولأبي الفرج أشعار كثيرة، قيل: إنها نحو عشر مجلِّدات، وقد ذكره العماد الكاتب في «الخريدة» وأثنى عليه، فمن الأشعار المنسوبة إليه:

يا صاحبي إن كنتَ لي أو معي      فَعُجْ على وادي الجَمَى نَزَعِ  
وَسَلْ عن الوادي وَسُكَّانِهِ      وانشُدْ فَوادي في رُبَا المَجْمَعِ  
حَيَّ كَثِيبَ الرَّمْلِ رَمَلِ الجَمَى      وَقِفْ وَسَلِّمْ لي على لَعْلَعِ  
واشْمَعْ حديثاً قد رَوَّته الصَّبَا      تسننهُ عن بانه الأَجْرَعِ

(١) أخرجه مسلم (١٧٨٠)، وأحمد (٧٩٢٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٠٧٦)، وأبو يعلى (٦٦٥٤)، والحاكم ٢/٣٢٥ من حديث أبي هريرة، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وابكِ فما في العين من فضلة  
وانزل على الشيخ بواديهم  
رفقاً بنضوٍ قد برّاه الأسي  
لهفي على طيب ليالٍ خلّت  
إذا تدكّرتُ زماناً مضى  
يا نفسُ كم أتلو حديثك المنى  
ومنها:

في شغلٍ عن الرقادِ شاغلٍ  
يا صاحبي هذي ديارُ رنعمهم  
واظربني إذا رأيتُ أرضهم  
ما للصبأ مولعةٌ بذى الصبا  
ما للهوى العذري في بلادنا  
يا بانه الشيخ سقيتِ أذمعي  
مهلك عن زهوي وميلي عن أسي  
لله دُرّ العيش في ظلالهم  
ومنها:

تملّكوا واحتكموا  
تصرّفوا في ملكهم  
إن واصلوا محبّهم  
اضبر لما شاؤوا وإن  
يا أرض سلّعِ حُبّري  
وصارَ قلبي لهم  
فلا يُقال ظلموا  
أو قطعوا فهمُ هم  
ساء الذي قد حكموا  
وحدّثيني عنهم ٢٥

(١) في «مرآة الزمان»: واشم عيب البلد الأبقع.

يَا لَيْتَ شِغْرِي إِذْ عَدُوا      أَلَنْجَدُوا أَمْ أَتَهَمُوا  
تَشْتَاقُهُمْ أَرْضُ مِنِّي      وَتَشْتَكِيهِمْ زَمْرَمُ

### فصل

#### في وفاة أبي الفرج رحمه الله

جلس يوم السبت سابع شهر رمضان تحت تربة أم الخليفة المجاورة  
لمعروف الكرخي. قال سِبْطَةُ أَبُو الْمُظْفَرِ: وكنتُ حاضراً، فأنشد أبياتاً قطع  
عليها المجلس، وهي:

اللَّهَ أَسْأَلُ أَنْ يَطْوِلَ مُدَّتِي      وَأُنَالَ بِالْإِنْعَامِ مَا فِي نَيْتِي  
لِي هِمَّةٌ فِي الْعِلْمِ مَا مِنْ مِثْلِهَا      وَهِيَ الَّتِي جَنَّتِ التَّحْوِلَ هِيَ الَّتِي  
خُلِقْتُ مِنَ الْقَلْقِ الْعَظِيمِ إِلَى الْمُنَى      دُعَيْتُ إِلَى نَيْلِ الْكَمَالِ فَلَبَّيْتُ  
كَمْ كَانَ لِي مِنْ مَجْلِسٍ لَوْ شُبِّهَتْ      حَالَاتُهُ لِتَشْبِهَتْ بِالْجَنَّةِ  
اشْتَاقُهُ لَمَّا مَضَتْ أَيَّامُهُ      عَظْلًا وَتُعَذَّرُ نَاقَةٌ إِنْ حَنَّتِ  
يَا هَلْ لِّلْبِلَالِ بِجَمْعِ عَوْدَةٍ      أَمْ هَلْ إِلَى وَادِي مِنِّي مِنْ نَظَرَةٍ  
قَدْ كَانَ أَحْلَى مِنْ تَصَارِيفِ الصَّبَا      وَمِنَ الْحَمَامِ مُغْنِيَاً فِي الْأَيْكَةِ  
فِيهِ الْبَدِيهَاتُ الَّتِي مَا نَالَهَا      خَلَقْتُ بِغَيْرِ مُخَمَّرٍ وَمُبَيَّتِ  
بِرَجَاحَةٍ وَقَصَاحَةٍ وَمَلَاحَةٍ      يَقْضِي لَهَا عَدْنَانُ بِالْعَرَبِيَّةِ  
وَبَلَاعَةٍ وَبِرَاعَةٍ وَبِرَاعَةٍ      ظَنَّ النَّبَاتِي أَنَّهَا لَمْ تَنْبُتِ  
وَإِشَارَةٌ تُبْكِي الْجُنَيْدَ وَصَحْبَهُ      فِي رِقَّةٍ مَا قَالَهَا ذُو الرُّمَّةِ  
قلت: أظنُّ هذه الأبيات كان نظمها في أيام محنته إذ كان محبوساً بواسطة،  
فمعانيها دالةٌ على ذلك، والله أعلم.

ثم قال أبو المظفر: ونزل من المنبر فمرضَ خمسة أيام، وتوفي ليلة الجمعة

بين العشاءين في داره بَقُطْفَتَا<sup>(١)</sup>، قال: وحكث لي والدتي - رحمها الله - أنها سمعته يقول قُبيل موته: أيش أعمل بطواويس - يردُّها - قد جبَّتم لي هذه الطواويس. وَحَصَرَ غَسْلَهُ شَيْخُنَا ضِيَاءَ الدِّينِ بْنِ سَكِينَةَ وَضِيَاءَ الدِّينِ بْنِ الْجَبْرِ وَقَتَ السَّحَرِ، وَاجْتَمَعَ أَهْلُ بَغْدَادَ، وَغُلِّقَتِ الْأَسْوَاقُ، وَجَاءَ أَهْلُ الْمَحَالِ، وَشَدَّدْنَا التَّابُوتَ بِالْحَبَالِ، وَسَلَّمْنَاهُ إِلَيْهِمْ، فَذَهَبُوا بِهِ إِلَى تَحْتِ التَّرْبَةِ مَكَانَ جُلُوسِهِ، فَصَلَّى عَلَيْهِ ابْنُهُ أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ اتِّفَاقًا، لِأَنَّ الْأَعْيَانَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى الْوَصُولِ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبُوا بِهِ إِلَى جَامِعِ الْمَنْصُورِ، فَصَلُّوا عَلَيْهِ، وَضَاقَ بِالنَّاسِ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا، لَمْ يَصِلْ إِلَى حُفْرَتِهِ عِنْدَ قَبْرِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ إِلَى وَقْتِ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ، وَكَانَ فِي تَمُوزَ، وَأَفْطَرَ خَلَقَ كَثِيرَ مِمَّنْ صَحِبَهُ، وَرَمَوْا نَفُوسَهُمْ فِي خَنْدَقِ الطَّاهِرِيَّةِ فِي الْمَاءِ، وَمَا وَصَلَ إِلَى حُفْرَتِهِ مِنَ الْكَفْنِ إِلَّا قَلِيلًا، وَأَنْزَلَ فِي الْحَفْرَةِ وَالْمَوْذُنَ يَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ. وَحَزِنَ النَّاسُ عَلَيْهِ حُزْنًا شَدِيدًا، وَبَكَوْا بِكَاءٍ كَثِيرًا، وَبَاتُوا عِنْدَ قَبْرِهِ طَوِيلَ شَهْرِ رَمَضَانَ يَخْتَمُونَ الْخَتَمَاتَ بِالْقِنَادِيلِ وَالشَّمْعِ وَالْجَمَاعَاتِ، وَرَأَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ صَالِحٌ فِي مَنَامِهِ وَهُوَ عَلَى مَنْبَرٍ مِنْ يَاقُوتٍ مُرْصَعٍ بِالْجَوَاهِرِ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ، وَالْمَلَائِكَةُ جُلُوسٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالْحَقُّ سَبْحَانَهُ حَاضِرٌ يَسْمَعُ كَلَامَهُ.

قال: وأصبحنا يوم السبت عملنا عزاءه، وتكلَّمْتُ فيه، وحضر خلقٌ عظيم.

قال: ومن العجائب أنا كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ قَبْرِهِ بَعْدَ انْفِضَاضِ الْعِزَاءِ، وَإِذَا

بِخَالِي مَحْيِي الدِّينِ يَوْسُفَ قَدْ صَعِدَ مِنَ الشُّطِّ، وَخَلْفَهُ تَابُوتٌ، فَعَجَبْنَا وَقَلْنَا: ٢٦  
تُرَى مَنْ مَاتَ فِي الدَّارِ؟ وَإِذَا بِهَا خَاتُونَ أُمَّ وَلَدِ جَدِّي وَالِدَةَ مَحْيِي الدِّينِ، وَعَهْدِي بِهَا فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا جَدِّي فِي عَافِيَةٍ، قَائِمَةٌ لَيْسَ بِهَا مَرَضٌ، فَكَانَ بَيْنَ مَوْتِهَا وَمَوْتِهِ يَوْمَ وَلَيْلَةٍ، وَعَدَّ النَّاسُ ذَلِكَ مِنْ كَرَامَاتِهِ، لِأَنَّهُ كَانَ مَغْرَى بِهَا فِي حَالِ حَيَاتِهِ.

(١) محلة كانت بالجانب الغربي من بغداد. «معجم البلدان»: ٣٧٤/٤.

وأوصى جدي أن يُكتب على قبره:

يا كثيرَ العفو عَمَّنْ      كَثُرَ الذَّنْبُ لِيَدِيهِ  
جاءك المُنْذِبُ يَرجو الصَّـ      نُفِخَ عَن جُزْمِ يَدِيهِ  
أنا ضيِّفٌ وجزاء الصُّـ      يَفِي إِحْسَانًا إِلَيْهِ  
وهذا البيت تضمنين.

### فصل

#### في ذكر اولاده

قال أبو المُظَفَّر: وكان له من الأولاد الذكور ثلاثة: عبد العزيز - وهو أوَّل أولاده - وأبو القاسم علي، وأبو محمد يوسف. فأما عبد العزيز فكنيته أبو بكر، تفقَّه على مذهب أحمد، وسَمِعَ أبا الوقت، وابن ناصر، والأرموي، وجماعة من مشايخ والده. وسافر إلى المَوْصِل، ووعَظَ، وحَصَلَ له القَبُولُ التَّام، فيقال: إن بني الشَّهْرُزُورِي حَسَدُوهُ، فَدَسُّوا إِلَيْهِ من سقاه السُّمَّ، فمات بالمَوْصِل سنة أربع وخمسين في حياة والده.

وأما أبو القاسم، فكَتَبَ الكثير، وسَمِعَ الحديث من ابن البُطِّي وغيره، وهو الذي أظهر مصنفات والده وباعها بيع العبيد فيمن يزيد، ولما مضى والده إلى واسط كانت كتبه في داره بدرج دينار، فتحَيَّلَ عليها بالليل والنهار حتى أخذ منها ما أراد، وباعها ولا بثمن المِداد، وكان أبوه قد هَجَرَهُ منذ سنين، فلما امتحن أبوه صار إلْبًا عليه للمعادين. وتوفي سنة ثلاثين وست مئة، وله ثمانون سنة.

وأما أبو محمد يوسف، ولقبه محيي الدين، فولد في سنة ثمانين وخمس مئة، وسمع الحديث الكثير، وتفقَّه وناظر، ونشأ على الطرائق الرَّشيدة، والخلائق الحميدة، وهو كان السبب في خلاص والده من واسط، ووعظ بعد وفاة أبيه تحت تُرْبَةِ والده الخليفة، وقامت بأمره أحسن قيام، ثم ولي الحِشْبَةَ

بجانبى بغداد في سنة أربع وست مئة إلى تسع وست مئة، ثم وليها من سنة خمس عشرة وست مئة<sup>(١)</sup>، وسلك طريق العقل والسداد، وترسّل عن الخلفاء إلى الملوك، وأول ترسّله عن الإمام الظاهر بن الناصر في سنة ثلاث وعشرين وست مئة إلى أولاد العادل: الأشرف والمُعظّم والكامل، وآخر ما انفصل عن الثّام في سنة خمس وثلاثين وست مئة إلى بغداد. وفي تلك السنة توفي صاحب الرّوم، والأشرف، والكامل، ثم ولي أستاذية الدار في سنة أربعين للإمام المستعصم بن المستنصر بن الظاهر.

قلت: وبقي على ذلك إلى أن قتله التّاتار - لعنهم الله - سنة استولوا على بغداد، وهي سنة خمس وخمسين وست مئة<sup>(٢)</sup>، مع مَنْ قتلوه من الأكابر الذين خرجوا مع الخليفة المستعصم إليهم، على ما سنذكره إن شاء الله تعالى<sup>(٣)</sup>.

قال أبو المظفر: وكان لجدي عدّة بنات، منهن والدتي رابعة، وشرف النّساء، وزينب، وجوهرة، وست العلماء الكبرى، وست العلماء الصّغرى، ٢٧ وكلهن سمعن الحديث من جدّي وغيره<sup>(٤)</sup>.

وقال الشيخ أبو الفرج في كتابه «المنتظم» في أخبار سنة إحدى وسبعين وخمس مئة: وفي هذه السنة عُقدَ عَقْدُ ابنتي رابعة بباب حجرة الخليفة - وحضَرَ قاضي القضاة والعدول والخدم والأكابر - على أبي الفتح بن رشيد الطبري، قال: وزوجت ابني أبا القاسم بابنة الوزير يحيى بن هُبيرة في ذلك اليوم، وكان الخاطب ابن المهدي<sup>(٥)</sup>.

(١) في (ب) و(ع) و(ك) إلى. ثم بيض لها أبو شامة.

(٢) يقصد أبو شامة أن ذلك كان في أواخرها إذ استولى التتار على بغداد في محرم سنة ٦٥٦ هـ، كما سيأتي في حوادثها، وهم ابن خلكان في «وفيات الأعيان»: ٣/١٤٢ بقوله: توفي في وقعة التتر قتلاً سنة ثلاث وخمسين وست مئة!

(٣) طوى أبو شامة خبر امتيلاء التتار على بغداد بسطور قليلة، ولم يفصل فيها، انظر ص ١٢٤-١٢٥ من الجزء الثاني.

(٥) المنتظم: ١٠/٢٥٧.

(٤) مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٧ هـ).

قال أبو المظفر: هذه رابعة هي والدتي، تزوجها ابنُ رشيد الطبري، وهو أول أزواجها، ولم يُطلِّ عمره معها، ثم زوجها جَدِّي بوالدي بعد موت ابن رشيد. وقد سمعتُ الحديثَ على ابن البطي، وثابت بن بُنْدَار<sup>(١)</sup>، ومعظم مشايخ جدي.

قال أبو الفرج: ورُفِّتُ إلى ابن رشيد في المحرَّم سنة اثنتين وسبعين في دار الجهة بنفسا جهة الخليفة، وجَهَّزَتْهَا بمالٍ عظيم.

قال أبو المظفر: ما قصد جدي بهذا الكلام إلا الإعلام بمكانته وعُلُو منزلته عند الخليفة، وأن أحداً من أبناء جنسه لم يصل إلى مرتبته<sup>(٢)</sup>.

### فصل

وفي هذه السنة أيضاً، وهي سنة سبع وتسعين وخمسة مئة، توفي في مستهل [شهر]<sup>(٣)</sup> رمضان العمادُ الكاتب<sup>(٤)</sup>، الأصفهاني، وكان كاتب الإنشاء في الدولتين الثورية والصَّلاحية، وكان مبرزاً في النظم والنثر، عارفاً بالأدب، حافظاً لدواوين العرب. وقد ذكرتُ له ترجمةً حسنةً في «تاريخ دمشق» في حرف الميم، وأخباره مفرقة أيضاً في كتابي الذي سميته «بالرَّوضتين»، وقد ذكر هو نفسه أيضاً في كتابه الذي سَمَّاه «بالخريدة»، ومن شِعْرِهِ:

باللهِ يا رِيحَ الشَّمَالِ تَحْمَلِي    مني التَّحِيَةَ نحو ذَاكَ المَنْزِلِ

(١) في هامش الأصل حاشية نصها: في حاشية أصله بخط البرزالي رحمه الله: صوابه يحيى بن ثابت.

قلت: انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ٥٠٥/٢٠ - ٥٠٦.

(٢) مرآة الزمان (حوادث سنة ٥٧١ هـ).

(٣) ما بين حاصرتين ليس في الأصل، والمثبت من بقية النسخ.

(٤) له ترجمة في معجم الأدباء: ١١/١٩ - ٢٨، والكامل: ١٢/١٧١، مرآة الزمان (وفيات سنة

٥٩٧ هـ)، التكملة للمنزري: ١/٣٩٢ - ٣٩٣، كتاب الروضتين: ٤/٤٨٥ - ٤٨٦، وفيات =

خَفِيَّ إِلَى حَمَلِ السَّلَامِ وَخَفِّي  
 قَوْلِي لِمَنْ شَغَلَ الْفَوَادُ بِحَبِّهِ  
 حُلَّتْ عَقْرُودُ دَمَوِعِهِ وَعَقْرُودُهُ  
 سُقِيَا لِأَحْبَابٍ تَبَدَّلَ وَدُهُمُ  
 الظَّاعِنِينَ وَوَدُهُمُ مَسْتَوِطُنُّ  
 لِي بَعْدَهُمْ حَالُ الْمَعْنَى الْمُبْتَلَى  
 يَا رَاكِبًا يَطْوِي الْفَلَاحَ مُسْتَعِجِلًا  
 أَقْفَلْتُ بَابَ مَسْرَّتِي وَفَتَحْتُ مِنْ  
 عَرَجٍ وَعُجْجٍ نَحْوَ الْجَمَى سُقَى الْجَمَى  
 وَمِنْهُ :

أَيَا سَاكِنِي مِضْرَ عَفَا اللَّهُ عَنْكُمْ  
 أَيْتُ عَلَى هِجْرَانِكُمْ مَتْنَدِمًا  
 فَإِنْ كُنْتُمْ لَمْ تَعْلَمُوا مَا لَقِيْتُهُ  
 بَقِيَّتُمْ وَعِشْتُمْ سَالِمِينَ مِنَ الْأَذَى  
 وَعَافَاكُمْ مِمَّا أَنَا فِيهِ مِنْكُمْ  
 وَمَنْ يَنَا عَنْكُمْ كَيْفَ لَا يَتَنَدَّمُ  
 مِنْ الْوَجْدِ وَالْأَشْوَاقِ فَاللَّهُ يَعْلَمُ  
 وَمُنِيَّةُ قَلْبِي أَنْ تَعِيشُوا وَتَسْلُمُوا ٢٨  
 وَفِيهَا تُوْفِي مَكَلَبَةَ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَسْتَنْجِدِي<sup>(١)</sup>، وَكَانَ صَالِحًا يَقُومُ اللَّيْلَ،  
 سَمِعَ الْمُؤَذِّنَ يَقُولُ فِي وَقْتِ السَّحْرِ فِي الْمَثْنَدَةِ :

= الأعيان: ١٤٧/٥ - ١٥٣، سير أعلام النبلاء: ٣٤٥/٢١ - ٣٥٠، العبر للذهبي: ٢٩٩/٤،  
 المختصر المحتاج إليه: ١٢٢/١ - ١٢٣، الرافي بالوفيات: ١٣٢/١ - ١٤٠، طبقات الشافعية  
 للسبكي: ١٧٨/٦ - ١٨٣، طبقات الشافعية للإسنوي: ٣٥٤/٢ - ٣٥٥، البداية والنهاية  
 (وفيات سنة ٥٩٧ هـ)، توضيح المشتبه: ٢٦٣/١، حسن المحاضرة: ٥٦٤/١ - ٥٦٥،  
 شذرات الذهب: ٣٣٢/٤ - ٣٣٣.

وانظر ما كتبه العلامة محمد بهجة الأثري في ترجمته في مقدمة تحقيقه لخريدة القصر، قسم  
 شعراء العراق: ٩/١ - ٨٠، وقد جمع ديوان شعره ناظم رشيد، وطبع في بغداد سنة ١٩٨٣ م.

(١) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٧ هـ).

يا رجالَ اللَّيْلِ جُدُّوا رَبَّ صَوْتٍ لَا يُرَدُّ  
 مَا يَقْوَمُ اللَّيْلَ إِلَّا مَنْ لَهُ عَزْمٌ وَجِدُّ  
 فبكى مكلبةً بكاءً شديداً، وصاح: يا مؤذن زُدني. فقال المؤذن:

قد مضى الليلُ ووَلَّى وحبِيبِي قد تجلَّى  
 فصاح مكلبةً ومات، فأصبح جميع من ببغداد على باب داره، وكان يوماً  
 عظيماً لم يَر ببغداد مثله، فالسعيد من وَصَلَ إلى كفته، وقُطِع الكفن قِطْعاً، ودُفِنَ  
 بالوردية.

وفيها<sup>(١)</sup> توفي أبو منصور بن نقطة المزكلش<sup>(٢)</sup>. كان يقول كان وكان<sup>(٣)</sup>. ولا  
 يعرف الخط، وهو أخو عبد الغني بن نُقطة الرَّاهد.

وهو عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع<sup>(٤)</sup>، كان له زاوية ببغداد بأوي إليها  
 الفقراء، وكان ديناً جواداً سمحاً، لم يكن ببغداد في عَضْرِهِ من يقاومه في  
 التجريد، كان يُفتح عليه قبل غروب الشمس بألف دينار فيفْرَقُها، والفقراء صيام  
 لا يَدْخِرُ لهم منها شيئاً ويقول: نحن لا نعمل بأجرة - يعني لا نصوم وندخر ما  
 نُفْطِر عليه - وكانت والدته الخليفة الناصر تحسِنُ الظَّنَّ به، زَوَّجته بجارية من

(١) من هنا ينتهي الاضطراب في أوراق الأصل.

(٢) له ترجمة في مرآة الزمان (حوادث سنة ٥٩٧هـ).

(٣) كان وكان: قالب من الشعر العامي كان في مبدأ نشأته مقصوراً على الحكايات والخرافات، ولذلك  
 سموه «كان وكان» في بغداد، ويسميه المصريون الزكالكش، انظر «الأدب في العصر الأيوبي» لمحمد  
 زغلول سلام ص ٢٨٠-٢٨٢، و«وفيات الأعيان»: ٥٠١/٣ حاشية د. إحسان عباس.

(٤) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٨٣ هـ)، والتكملة للمنزدي: ٦٨/١ (لكن الصفحة  
 في المطبوع منه استبدلت بغيرها خطأ)، والمختصر المحتاج إليه: ٨٤/٣، الوافي  
 بالوفيات: ٣٣/١٩، ذيل طبقات الحنابلة: ١٨٤/٢، توضيح المشتبه: ٢٥٠/٩، المنهج  
 الأحمد: ١٩٩/٤، شذرات الذهب: ٢٧٨/٤ - ٢٧٩، ١٣٤/٥.

وهو والد المجد محمد صاحب كتاب «التقييد في رواية الكتب والأسانيد» المتوفى سنة ٦٢٩ هـ

خواصها، ونقلت معها جهازاً يساوي عشرة آلاف دينار، فما حال الحول وعنده منه سوى هاون. فجاء فقيراً، فوقف على الباب وقال: لي ثلاثة أيام ما أكلت شيئاً. فأخرج إليه الهاون وقال: لا تشنع على الله، كل بهذا ثلاثين يوماً. وتوفي عبد الغني رابع جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين وخمس مئة، ودفن بزاوته.

وأخوه أبو منصور بن نُقطة المزكلش، كان ينشد كان وكان في الأسواق، ويسحرُ النَّاسَ في رمضان، فقليل له: أما تستحي، أخوك زاهد العراق وأنت تزكلش في الأسواق! فقال موالياً:

قد خاب مَنْ شَبَّهَ الجزعه إلى دُرِّه      وسامَ قَنَبِهِ إلى مُسْتَحْسِنه حُرِّه  
أنا مغني وْحَيَّ زاهد إلى مَرِّه      في الدَّارِ بيرين ذي حُلُوه وذِي مُرِّه  
وجرى حديث قتل عثمان، وأنَّ علياً - رضي الله عنهما - كان بالمدينة، ولم يقدر على الوصول إليه، فقال ابن نقطة:

ومن قُتِلَ في جواره مِثْلُ ابنِ عَفَّانِ واعتذر  
يجبُ عليه أن يَفْبَلَ في السَّامِ عُذْرَ يزيد

فأراد الشيعة قتله، فوثبوا عليه ليلة، وكان يسحر الناس في شهر رمضان، وكان الإمام النَّاصر تلك الليلة في المنظرة وهو واقف يسحر، ويقول: أي نياما، قوما، قوما، السحور، قوما. فعطس الخليفة. فقال ابن نقطة: يا من عطس في الروزنة، يرحمكم الله قوما. فبعث إليه مئة دينار، وحماه من الشيعة، فمات بعد قليل.

وفيها توفي مُسْنِدُ السَّامِ في وقته أبو طاهر، بركات بن إبراهيم بن طاهر

الحُسُوعي<sup>(١)</sup>، شارك الحافظ أبا القاسم بن عساكر في كثير من شيوخه ٢٩

(١) له ترجمة في التكملة للمنذري: ٤١٩/١ - ٤٢٠، وفيات الأعيان: ٢٦٩/١ - ٢٧٠، سير

أعلام النبلاء: ٣٥٥/٢١ - ٣٥٨، العبر للذهبي: ٣٠٢/٤، البداية والنهاية (وفيات سنة ٥٩٧

هـ)، النجوم الزاهرة: ١٨١/٦، شذرات الذهب: ٣٣٥/٤ =

الدمشقيين سماعاً، والغرباء إجازة، وعمّر حتى ألحق الصغار بالكبار. أخبرنا عنه جماعة، رحمه الله تعالى.

### ثم دخلت سنة ثمان وتسعين [وخمسة مئة]<sup>(١)</sup>

والغلاء بمصر مستمر، ثم تناقص لاستقبال جمادى الآخرة لما ظهر من زيادة نيلها، وأقلع في آخرها، ولله الحمد.

قال أبو المظفر: فيها<sup>(٢)</sup> برز العادل إلى القُصير طالباً حلب، وكان الأفضل بحمص عند شيركوه<sup>(٣)</sup>، وهو أخو زوجته سفري ابنة ناصر الدين محمد بن شيركوه الكبير، فجاء إلى عمه العادل، فالتقاه عند ثنية العقاب، فأكرمه وعوّضه عن مئافارقين سُميساط وسرّوج، وقلعة نجم، وقرايا في المريج ومِصر، وتسلم الظاهر فامية من ابن المقدم، ونزل العادل على حماة، فصالحه الظاهر، ورجع العادل إلى حمص.

وجاءت في شعبان زلزلة عظيمة<sup>(٤)</sup>، فشقت قلعة حمص، ورمت المنطرة التي على القلعة، وأخرت حصن الأكراد، وتعدت إلى جزيرة قبرس، وامتدت إلى نابلس، فأخرت ما بقي.

وقال العز بن تاج الأمتاء: هذه الزلزلة العظمى التي هدمت بلاد السّاحل: صور، وطرابلس، وعِرقة، وشعثت كثيراً من البلاد الإسلامية الشمالية. ورمت

وقد وهم أبو شامة في ذكره في وفيات هذه السنة، وتابعه على ذلك ابن كثير في البداية والنهاية، والصواب وفاته سنة (٥٩٨ هـ) كما في مصادر ترجمته.

قال المنذري في «التكملة»: «وسئل أبوه أبو إسحاق إبراهيم: لم سماوا الخشوعيين؟ فقال: كان جدنا الأعلى يؤم بالناس، فتوفي في المحراب، فسمي الخشوعي».

(١) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا للإيضاح.

(٢-٢) ما بينهما ليس في (ع) و(ك) و(س).

(٣) انظر حاشيتنا رقم ٢ ص ٩٧ من هذا الجزء.